منهجنا في التربية

الإيمان ثم القرآن هو منهج التربية لقول جندب رضي الله عنه: «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا»، ولقول ابن عمر رضي الله عنه: «لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة فنتعلم حلالها وحرامها وزواجرها وأوامرها وما يجب أن يقف عنده منها، ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يوقف عنده منه ينثره نثر الدقل». فالحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينًا.

أين القرآن في حياتنا

أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق وتنزيهه وصيانته، وأجمعوا على أن من جحد منه حرفًا مما أجمع عليه أو زاد حرفًا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر.

إن الواجب علينا حكامًا ومحكومين أن نقيم القرآن في حياتنا الخاصة والعامة، في حربنا وسلمنا، في مسجدنا وسوقنا، في سياستنا وإقتصادنا وإجتماعنا وأخلاقنا، وأن نحذر أن نكون ممن اتخذوا القرآن مهجورًا، وصار عندهم بضاعة للموتى ولعمل الأحجبة وزخرفة البيوت والسيارات والتلاوة في المناسبات!!! فما نزل القرآن إلا لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين.

عباد الله، إن القرآن الآن وكأنه يناديا من مكان

بعيد، من يوم بدر وأحد: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

obeikandl.com

هجر القرآن (١)

الهجر: هو الترك والإهمال، وهجر الشيء: الإعراض عنه.

فاسمع يا من هجرت كتاب الله قول الله تبارك وتعالى، وقول رسوله الكريم فيمن هجر القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [طه: ١٢٤]، أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك بأن يكون على وجه الإنكار له والكفر به ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾، أي فإن جزاءه أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذابًا، وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره ويحصر فيه ويُعذب جزاء إعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر، وبعض المفسرين يرى أن المعيشة

(١) بتصرف واختصار من «حالنا مع القرآن».

الضنك عامة في دار الدنيا بما يصيب المعرض عن ذكر ربه من الهموم والغموم والآلام التي هي عذاب معجل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة لإطلاق المعيشة الضنك وعدم تقييدها. ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ ﴾ أي: هذا المعرض عن ذكر ربه. ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ البصر على الصحيح، كما قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء: ٩٧]، قال: على وجه الذل والمراجعة والتألم والضجر من هذه الحالة ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ ﴾ في دار الدنيا ﴿ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ فما الذي صيَّرني إلى هذه الحالة البشعة ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ﴾ بإعراضك عنها ﴿ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤- ١٢٦] أي تترك في العذاب.

ويقول الله مخبراً عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠]، وذلك أن المشركين كانوا

لا يصغون للقرآن ولا يستمعونه، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت: ٢٦].

قال ابن الجوزي - رحمه الله - في تفسيره « زاد المسير » عند هذه الآية: عند كثير من العلماء أنه يقوله يوم القيامة.

وتوعد الله تبارك وتعالى المعرض عن ذكره بالعذاب في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الجن: ١٧].

وقد حذَّر الله عباده من الإعراض عن هذا القرآن العظيم وبيّن ما يترتب عليه من الشؤم، وعدّه من الظلم، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [الكهف: ٥٧].

قال ابن القيم - رحمه الله - : والمقصود أن الله سبحانه أخبر أن من أعرض عن ذكره - وهو الهدى الذي من اتبعه لا يضل ولا يشقى - فإن له معيشة

ضنكًا وتكفل لمن حفظ عهده أن يحييه حياة طيبة ويجزيه أجره في الآخرة، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، فأخبر سبحانه عن فلاح من تمسك بعهده علمًا وعملاً في العاجلة بالحياة الطيبة، وفي الآخرة بأحسن الجزاء، وهذا بعكس من له المعيشة الضنك في الدنيا والبرزخ، ونسيانه في العذاب بالآخرة.

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧]، فأخبر سبحانه أن من ابتلاه بقرينه من الشياطين وضلاله به، إنما كان بسبب إعراضه وعَشوِه عن ذكره الذي أنزله على رسوله.

فكان عقوبة هذا الإعراض أن قيض له شيطانًا يقارنه فيصده عن سبيل ربه وطريق فلاحه وهو يحسب أنه

مهتد، حتى إذا وافى ربَّه يوم القيامة مع قرينه وعاين هلاكه وإفلاسه، قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: ٣٨]، وكل من أعرض عن الإهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فلابد أن يقول هذا يوم القيامة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده، ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقًا به يقول: يا رب العالمين، إن عبدك هذا اتخذني مهجورًا فاقضِ بيني وبينه**».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»

[رواه الترمذي].

وعن جابر عن النبيِّ ﷺ قال: «**القرآن شافع مشفع وماحِل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار**» [رواه ابن ماجه].

وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى يوم القيامة أجذم».

أنواع هجر القرآن:

قال ابن القيم – رحمه الله – : هجر القرآن أنواع:

إحداها: هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه.

الثاني: هجر العمل به، والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

الثالث: هجر تحكيمه، والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أن لا يفيد اليقين، وأن أدلته لا يحصل بها العلم.

الرابع: هجر تدبره وفهمه أو معرفة ما أراد المتكلم به منه.

الخامس: هجر الإستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به.

وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض. وكذلك الحرج الذي في الصدور منه: فإنه تارة يكون حرجًا من إنزاله وكونه حقًّا من عند الله، وتارة يكون من جهة المتكلم به، أو كونه مخلوقًا من بعض مخلوقاته ألهم غيره أن تكلم به.

وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها وأنه لا يكفي العباد، بل هم محتاجون معه إلى المعقولات والأقيسة، أو الآراء أو السياسات، وتارة يكون من جهة دلالته أو ما أُريد به تأويلها وإخراجها عن حقائقها إلى تأويلات مستكرهة مشتركة، وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق وإن كانت مرادة، فهي ثابتة في نفس الأمر، أو أوهم أنها مرادة لضرب من المصلحة، فكل هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن، وهم يعلمون ذلك من نفوسهم ويجدونه في صدورهم، ولا تجد مبتدعًا في

دينه قط إلا وفي قلبه حرج من الآيات التي تخالف بدعته، كما أنك لا تجد ظالمًا فاجرًا إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته.

فتدبر هذا المعنى ثم ارضَ لنفسك بما تشاء.

آثار هجر القرآن على الأمة الإسلامية:

عندما هجرت الأمة الإسلامية كتاب ربها فقدت صلتها به سبحانه؛ فانتشرت البدع والخرافات، وانتشر السحرة والمشعوذون والكهنة والعرافون، وسيطر الكفرة على المسلمين فأهانوهم وأذلوهم، واستعبدوهم، حتى صار الحال ببعضهم إلى أن يُخفي إسلامه ذُلاً وصغارًا، وتحكّم الكفار بموارد المسلمين وثرواتهم، فمع أن بلاد المسلمين غنية بثرواتها الطبيعية، إلا أن البطالة والفقر وتدني مستوى المعيشة سمة شائعة في كثير من بلاد المسلمين.

يقول ابن القيم – رحمه الله –: لَمّا أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسُّنَة والمحاكمة إليهما، واعتقدوا عدم

الإكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ، عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم، وظُلمة في قلوبهم، وكَدَرٌ في أفهامهم، ومحق في عقولهم، وعمّتهم هذه الأمور وغلبت عليهم، حتى رُبّيَ فيها الصغير، وهرم عليها الكبير،فلم يروها مُنكراً، فجاءتهم دولة أخرى قامت فيها البدع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوى مقام الرشد، والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم، والرياء مقام الإخلاص، والباطل مقام الحق، والكذب مقام الصدق، والمداهنة مقام النصيحة، والظلم مقام العدل، فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور، وأهلها هم المشار إليهم، فإذا رأيت دولةَ هذه الأمور قد أقبلت، ورايتَهَا قد نُصبت، وجيوشها قد ركبت، فبطن الأرض – والله – خير من ظهرها، وقلَلُ الجبال خير من السهول، ومخالطة الوحوش أسلم من مخالطة الناس.

وما يحدث في بلاد المسلمين اليوم من مصائب وفتن

وزلازل ومحن ما هو إلا بسبب بعدهم عن كتاب ربهم وعدم التحاكم إليه والعمل بما فيه، وإلا فالقرآن كتاب عظيم يصنع النفوس، ويصنع الأمم، ويبني الحضارات، فهو نور أنزله الله لنا لنؤمن به ، وننتفع ونعمل بما جاء فيه، لنَخْرُج من الظلمات إلى النور.

فالعيب إذًا في أبصارنا التي لم ترَ النور لأنها مغلقة عن هدي القرآن ونوره وفضله الذي جعله الله تبارك وتعالى في هذا الكتاب العزيز: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

فالعيب عيب الأبصار التي أبت أن تنتفع بالنور، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

فالله جل وعلا يهدي بهذا القرآن من اجتهد وحرص على بلوغ مرضاته، وصار قصده سبل السلام التي يسلم صاحبها من العذاب وتوصله إلى دار السلام، وهو العلم بالحق والعمل به إجمالاً وتفصيلاً.

أما نحن – في عصرنا الحاضر – فلم نتبع رضوان الله ولا سبل السلام، ولا استطعنا أن نقدم سلامًا للعالم، ولا استطعنا أن ننقل هدايات القرآن وفضائله، ومزاياه إلى أكثر من خمسة مليارات من البشر محجوبة عنهم أضواء القرآن، والسبب في ذلك أننا محجوبون عن هدي القرآن وفضله ونوره، وفاقد الشيء لا يعطيه.

فكم ممن ينتسبون إلى الإسلام مَنْ هم عار على الإسلام والمسلمين؛ لأن بين أيديهم كتاب الله جل وعلا فتركوه وتحاكموا إلى الطواغيت، بل يزعم بعضهم أن التحاكم إلى كتاب الله لا ينفع ولا يصلح لهذا الزمان!، فكيف سيصل نور القرآن إلى غير المسلمين ما دامت هذه حال المسلمين؟.

من أجل هذا يجب أن يعود المسلمون إلى كتاب ربهم، ويجب أن نعود لدراسة القرآن وتلاوته، والتحاكم إليه، والعمل بما فيه، وتطبيقه عمليًا في جميع شؤون حياتنا.

وما أحوجنا في هذا الزمان لعودة صادقة إلى كلام المنان، ليرتفع شأننا ونستعيد عزنا، وتقوى عزيمتنا على قهر عدونا. والله المستعان.

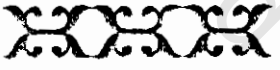

obeikandl.com

أحوال السلف مع القرآن

أخي الحبيب: لنقف على أحوال الصحابة والتابعين مع كلام رب العالمين، فهم خير الناس وأعلمهم بكتاب الله تعالى، ولنا فيهم أسوة حسنة لنرى كيف كانوا يقرأون القرآن، وكيف كان تدبرهم له والعمل به، لقد كانت لهم أحوال عجيبة ومواقف جليلة مع كتاب الله عز وجل، فإليك أخي بعض أحوالهم رضي الله عنهم أجمعين:

١ - وصايا السلف بالاهتمام بالقرآن:

لقد أوصى السلف رضوان الله عليهم أتباعهم بتعلم القرآن وتلاوته والعناية به ومتابعته، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقول: «إن هذا القرآن مأدبة الله، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئًا فليفعل».

وهذه وصية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «عليك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنه

روحك في أهل السماء، وذكرك في أهل الأرض، وعليك بالصمت إلا في حق، فإنك تغلب الشيطان».

وعن أبي العالية قال: قال رجل لأُبي بن كعب: أوصني قال: «اتخذ كتاب الله إمامًا وارضَ به قاضيًا وحكمًا؛ فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم، شفيع مطاع، وشاهد لا يتهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم».

وعن يونس بن جبير قال: شيَّعنا جندبًا فقلت له: أوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله وأوصيكم بالقرآن فإنه نور بالليل المظلم، وهدى بالنهار، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة، فإن عرض بلاء فقدِّم مالك ونفسك دون دينك، فإن تجاوز البلاء فقدِّم مالك ونفسك دون دينك، فإن المخروب من خُرب دينه، والمسلوب من سُلب دينه، واعلم أن لا فاقة بعد الجنة، ولا غنى بعد النار».

٢ - الحث على تدبر القرآن وصور من ذلك:

قال أبو عثمان المغربي: ليكن تدبرك في الخلق تدبر عبرة، وتدبرك في نفسك تدبر موعظة، وتدبرك في القرآن تدبر حقيقة، قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، جرأك به على تلاوته ولولا ذلك لكلَّت الألسن عن تلاوته.

وقال عمرو بن مرة: أكره أن أمرَّ بمَثَلٍ في القرآن فلا أعرفه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقال مطرف بن عبد الله: إني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبر القرآن، وأعرض عملي على عمل أهل الجنة، فإذا أعمالهم شديدة، كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، يبيتون لربهم سجداً وقياماً، أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً، فلا أراني فيه، فأعرض نفسي على هذه الآية: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدثر: ٤٢]، فأرى القوم مكذبين، وأمر بهذه الآية: ﴿وَآخَرُونَ

اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا ﴾ [التوبة: ١٠٢]، فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم.

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله. قالوا: يا أبا عبد الرحمن، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال ميمون بن مهران في قوله تعالى: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّه غافلا عمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، قال: وعيد للظالمين وتعزية للمظلوم.

وعن أبي العالية قال: إن الله قضى على نفسه أن من آمن به هداه، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّه يهد قلبه ﴾ [التغابن: ١١].

ومن توكل عليه كفاه، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿ ومن يتوكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣] ومن أقرضه جازاه، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿ مَن

ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾

[البقرة: ٢٤٥].

ومن استجار من عذابه أجاره، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والإعتصام: الثقة بالله، ومن دعاه أجابه، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

[البقرة: ١٨٦].

وعن كثير بن محمد قال: سمعت عمر بن ذر يقول: اللهم إنا قد أطعناك في أحب الأشياء إليك أن تُطاع فيه: الإيمان بك والإقرار بك، ولم نعصكَ في أبغض الأشياء أن تُعصي فيه: الكفر والجحد بك، اللهم فاغفر لنا بينهما، وأنت قلت: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [النحل: ٣٨]، ونحن نقسم بالله جهد أيماننا لتبعثن من يموت، أفتراك تجمع بين أهل القسمين في دار واحدة.

وقال أحمد بن ثعلبة: سمعت سلمًا الخوَّاص قال: قلت لنفسي: يا نفس اقرئي القرآن كأنك سمعتيه من الله حين تكلَّم به، فجاءت الحلاوة.

٣ - التأثر بالقرآن عند تلاوته أو سماعه:

كان عمر ﷺ يمرُّ بالآية في ورده فتخنقه فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يعاد يحسبونه مريضًا.

وقال نافع مولى ابن عمر: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ثم يقول: إن هذا لإحصاء شديد.

وكان ﷺ إذا قرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] يبكي حتى يغلبه البكاء.

وقال حماد بن سلمة: قرأ ثابت البناني: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾

[الكهف: ٣٧] وهو يصلي صلاة الليل ينتحب ويرددها.

وقال عليّ بن المدني: كنا عند يحيى بن سعيد فقرأ سورة الدخان فصعق يحيى، وغشي عليه.

وقال أحمد بن سعيد الهمذاني: دخل ابن وهب الحمام فسمع قارئًا يقرأ: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]، فسقط مغشيًا عليه، فغُسل عنه النورة وهو لا يعقل.

وروي عن عون بن ذكوان أنه قال: صلى بنا زرارة بن أوفى صلاة الصبح فقرأ يا أيها المدثر حتى إذا بلغ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾ [المدثر: ٨]، خرَّ ميتًا، وكنت فيمن حمله إلى داره.

وعن أبي بكر بن عياش قال: صليت خلف فضيل بن عياض المغرب وابنه عليّ إلى جانبي، فقرأ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فلما قال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾ [التكاثر: ٦]، سقط عليٌّ على وجهه مغشيًا عليه.

وقال أبو سليمان الداراني: كان عليّ بن الفضيل لايستطيع أن يقرأ (القارعة) ولا تُقرأ عليه.

وقال إبراهيم بن بشار: الآية التي مات فيها علي بن الفضيل في الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام: ٢٧] مع هذا الموضع مات وكنت فيمن صلى عليه - رحمه الله -.

٤ - العمل بالقرآن:

لقد كان للقرآن أثر بليغ في نفوس السلف ﷺ، فقد كانوا إذا جاءتهم الآية من كتاب الله تحرك في نفوسهم حبُّ المبادرة إلى العمل بها وتطبيقها، قال زيد ابن أسلم: لما نزل: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥].

قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: «**نعم، يريد أن يدخلكم الجنة به**». قال: فإني إن أقرضتُ ربي قرضًا يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة؟ قال:

«**نعم**»، قال: فناولني يدك، فناوله رسوله الله ﷺ يده، فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضًا لله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «**اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك**» قال: فأشهدك يا سول الله أني قد جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة. قال: «**إذًا يجزيك الله به الجنة**».

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهي مع صبيانها في الحديثة تدور تحت النخل فأنشأ يقول:

هداكِ ربِّي سُبَلَ الرَّشادِ
إلى سبيل الخير والسَّداد
بيني من الحائط بالوداد
فقد مضى قرضًا إلى التنادِ
أقرضتُه الله على اعتمادي
بالطَّوع لا مَنٌّ ولا ارتدادِ

إلا رجاء الضِّعْف في المعاد
فارتحلي بالنفس والأولادِ
والبرّ لا شَّك فخير زاد
قدَّمه المرءُ إلى المعادِ

قالت أم الدحداح: ربح بيعك، بارك الله لك فيما اشتريت. ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشّرك الله بخير وفَرَح
مِثلُك أدَّى ما لديه ونصح
قد متَّع الله عيالي ومنح
بالعجوة السوداء والزهو البلح
والعبد يسعى وله ما قد كدح
طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تُخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى

الحائط الآخر، فقال النّبيّ ﷺ: «**كم من عذق رداح ودار فياح لأبي الدحداح**».

وهذا عبد الله بن عمر أعتق جاريته التي يُقال لها: رميثة، وقال: إني سمعت الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وإني والله إن كنت لأحبك في الدنيا اذهبي فأنتِ حرة لوجه الله عز وجل.

فانظر أخي المسلم، آيات من كتاب الله حرّكت قلب هذا الصحابي، وذاك ليجود الأول بإحدى حديقتيه، ويعتق الثاني جاريته التي أحبها. وكل ذلك لوجه الله عز وجل، وما فعل هذا إلا الإيمان والتصديق بالله ربِّ العالمين.

٥ - تحزيب القرآن:

كان السلف الصالح يضعون نصب أعينهم قول الرسول ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة**،

والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» [رواه الترمذي]؛ لذلك فقد حزب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين القرآن أحزابًا حرصًا على الأجر العظيم والثواب الجزيل، وتعاهدًا لهذا القرآن الكريم.

فقد أمر النّبيُّ ﷺ عبدَ الله بن عمر رضي الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع، وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة.

وكان عروة بن الزبير يقرأ ربع القرآن كلّ يوم في المصحف نظرًا.

وعن أُبيّ بن كعب قال: إنا لنقرؤه في ثمانِ ليالي، يعني القرآن.

وقال أبو خلدة خالد بن دينار: سمعتُ أبا العالية يقول: كنّا عبيدًا مملوكين، منا من يؤدي الضرائب، ومنا من يخدم أهله، فكنا نختم كل ليلة، فشقّ علينا حتى

شكا بعضنا إلى بعض، فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ فعلمونا أن نختم كل جمعة فصلينا ونمنا ولم يشق علينا.

وكان قتادة يختم القرآن في سبع، وكان أبو إسحاق السبيعي يقرأ القرآن في كل ثلاث، وكان تميم الداري صاحب رسول الله ﷺ يختم القرآن في سبع.

وهذه حفصة بنت سيرين من التابعات قال عنها إياس بن معاوية: ما أدركت أحداً أفضله على حفصة بنت سيرين، وكان إذا استُشكل عليه شيءٌ من القرآن قال: اذهبوا فاسألوا حفصة كيف تقرأ، فقد قرأت القرآن وهي بنت اثنتي عشرة سنة.. وكانت على حظٍ عظيم من العبادة، فقد ذكر مهدي بن ميمون أن حفصة مكثت في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو لمقابلة.. وكانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة.. وذُكر أنه كان لها كفن فإذا حجت وأحرمت لبسته.. أين نساء هذا الزمن من هذه التابعية وكثير منهن يخرجن

دون حاجة وحظهن من العبادة لا شيء إلا من رحم الله؟!.

أخي الحبيب، هكذا كان حال سلفنا الصالح مع كتاب الله عز وجل، لهذا صلحت أيامهم وأحوالهم... فقد كانوا يخشون ربهم خشية العارفين الموقنين.. كانوا إذا أظلم الليل يقفون في محاريبهم باكين متضرعين، لهم أنين كأنين المرضى، ولهم حنين كحنين الثكلى، وكانوا ربما مرُّوا بالآية من كتاب الله فجعلوا يرددونها بقلب حزين.

لذلك أخي يجب علينا أن نُكثر من قراءة القرآن وتدبره والتفكر فيه، حتى تتأثر قلوبنا وتخشع من ذكر الله، ولنتدبر قوله جل وعلا: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢**﴾ [الأنفال: ٢].